PAPER DETAILS

TITLE: ??????? ??????? ?? ???? ?????

AUTHORS: Qays Abdullah MOHAMMED

PAGES: 93-108

ORIGINAL PDF URL: https://dergipark.org.tr/tr/download/article-file/647560

Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi Dergisi
2015/2, c. 14, sayı: 28, ss. 93-108.

الإعجاز القرآني في كلمة "كِفَاتاً"

Qays Abdullah MOHAMMED *

الخلاصة: هذا البحثُ بُيّنَ مِن خِلاله: الإعجازُ البياني والعلمي البليغُ في اختيارِ الكلمةِ القرآنيةِ؛ وقد انْكشفَ مِن خلالِ البحثِ تسعةُ معانٍ لكلمةِ {كِفاتاً} كلُها تُطابقُ السياقَ القرآنيَ، وأقوالَ المفسرين، واللغةَ العربيةَ، والحقيقةَ العلميةَ، وهذه المعاني هي: (الضمّ، والطيرانُ السريعُ، والحركةُ المتعرجةُ، والدورانُ والتقلبُ، والدورانُ في مداراتٍ ثابتةٍ، وكَفْتُ الأذى، وكونُ الأرضِ جامعةً للضروريات، وكونُها غطاءً ووعاءً، وأنَّ مِن الأرضِ أحياءَ العمارةِ والنباتِ وأمواتاً بالجدبِ).

المصطلحات: التأويل، الإعجاز، النسق، الإعراب، الجاذبية، الحركة المتموجة، الدوران، التقلب، النظام البيئي

İ'câzu'l-Kur'ân Bağlamında "Kifâten" كِفاتاً Kelimesi

Özet: Bu çalışmada Kur'ân kelimelerinin seçiminde ortaya çıkan edebî i'câz-ı beyânî ve i'câz-ı ilmî konuları açıklanmıştır. Araştırma esnasında "kifâtâ" kelimesinin Kur'ânî siyâka, müfessirlerin görüşlerine, Arap diline ve ilmi hakikatlere uygun dokuz manası ortaya çıkmıştır. Bu dokuz mana şunlardır: Çekmek, hızlı uçmak, kavisli hareket etmek, kendi etrafında dönmek, sabit bir eksende dönmek, canlılara ait rahatsız edici atıkları dönüştürmek, ihtiyaç duyulan şeyleri dünyanın ihtiva etmesi ve barınak olması, yeryüzünde medeniyet ve yeşil bir çevreyle oluşturulan yaşam alanları ve kuraklık sebebiyle oluşan ıssız mekânların olması.

Anahtar kelimeler: Te'vil, İ'caz, Nesk (uyumluluk), İ'rab, Ekosistem.

"Kifatan" {كِفاتاً} **in the Context of İ'câzu'l-Kur'ân**

Abstract: This paper aims to explain themes of edebî i'câz-ı beyânî ve i'câz-ı ilmî. In the course of this study, it is revealed that the word "kifâtâ" has nine meanings in accordance with Kur'ânîsiyâka, views of glossators, Arabic language and scientific facts. These meanings are as follow; gravity, outfly, Helical movement, Earth's rotation, recycle droppings, the status of the World which contains every need of human beings including sheltering, civilization in the World, natural living environments in the world and desert lands in the world.

Keywords: Common meanings, gravity, Helical movement, ecosystem.

* Yrd. Doç.Dr., Hitit Üniversitesi İlahiyat Fakültesi

الحمدُ للهِ الذيْ أنْعمَ علينا بِأُعظمِ النّعمِ وأكبرِها وأتمّها وهيَ نعمةُ القرآن الكريمِ الذيْ انْزلَهُ اللهُ {تِبْيَاناً لِكُلّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ}[1] وَلمْ يُفَرّطْ فيه بِشيءٍ (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ)[2] فَحَقَّ لنا أنْ نَفرحَ ونُسرَّ بهِ فَهوَ خيرٌ مِنْ كلّ أفكارِ وأنظمةِ الشرقِ والغربِ سلفاً وخلفاً قال تعالى:{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ}[3]، الذي حوى المعانيَ الكثيرةَ بالألْفاظِ القليلةِ؛ مما يُغْني ويروي ظَمأَ الطالبِ المُتَعَطِّشِ للحقيقةِ في كل زمانٍ ومكانٍ قديماً وحديثاً؛ مِمّا يناسبُ عُمومِهِ و شُمولِهِ و كونِهِ رحمةً للعالمينَ وشفاءً لكلّ أمراضِ الحضاراتِ، ودواءً لكل عِللِ الأُممِ.

وسَيُرى في هذا البحثِ المعاني الجليلةُ المتواردةُ على قوله تعالى: (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً)[4] ومطابقتُها التامةُ الرائعةُ لجملةِ صفاتِ الأرضِ التي كانَ يعرفُها الناسُ وقتَ التنزيلِ, أو التي اكتُشِفتْ فيما بعدَ ذلكَ، وانطباقُها الدقيقُ مع ما توصَّلَ له العلمُ الحديثُ؛ مُشكِّلا إعجازاً مُذْهلاً يُدلّلُ بِصورةٍ قاطعةٍ على كونِ القرآن مِن عندِ اللهِ العليمِ الخبيرِ؛ وصدقَ اللهُ العظيمُ القائلُ: {سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ}[5] وما أحسنَ ما قالَهُ ابنُ عطيةَ (ت١١٤٨/٥٤٢) وثَنَّى عليهِ الرافعي (ت١٩٣٧/١٣٥٦)؛ حيثُ أشاروا إلى أنَّ نَظْمَ القرآن مُتميزٌ باعتبارِ الحروفِ والكلماتِ بأصواتِها وحركاتِها ومواقعِها مِنَ الدلالةِ المعنويةِ، ويستحيلُ أنْ يقعَ في تركيبِهِ كلمةٌ زائدةٌ أو حرفٌ مُضطربٌ أو ما يجري مَجرى الحَشْوِ والاعتراضِ، بل نزلتْ جُمَلُهُ وكلماتُه وحروفُه منازلَها على ما استقرتْ عليهِ طبيعةُ البلاغةِ العاليةِ الكاملةِ، بحيثُ لو نُزِعتْ كلمةٌ منه أو أُزيلتْ عن وجهِها، ثم أُديرَ لِسانُ العربِ كلُه على أحسنَ منها في تأليفِها وموقعِها وسدادِها، لم يتهيأْ ذلكَ ولا اتسعتْ له اللغةُ بكلمةٍ واحدةٍ البتة[6].

والبحث الذي بين أيدينا هو مِنْ قَبيلِ التأويلِ؛ إذِ (التأويلُ: هو الحقيقةُ التي يؤول إليها الكلامُ، فتأويلُ ما أخبرَ اللهُ به عن ذاتِه وصفاتِه هو حقيقةُ ذاتِه المقدسةِ وما لها من حقائقِ الصفاتِ، وتأويلُ ما أخبر اللهُ به عن اليومِ الآخرِ هو نفسُه ما يكونُ في اليومِ الآخرِ. وعلى هذا المعنى جاء قولُ عائشةَ: "كان رسول الله (ص) يقول في ركوعه وسجوده: "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي" يتأول القرآن"[7]. تعني قوله تعالى:

١ النحل،١٦/ ٨٩

٢ الأنعام، ٣٨/٦

٣ يونس،٥٨/١٠

٤ المرسلات،٢٥/٧٧

٥ فصلت،٥٣/٤١

٦ ابن عطية عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي, **المحرر الوجيز**, دار الكتب العلمية ، بيروت,١٤٢٢,ج١، ص٥٢؛ مصطفى صادق الرافعي, **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**, دار الكتاب العربي ، بيروت ،ط ٨, ٢٠٠٥, ص. ١٥٥

٧ البخاري محمد بن اسماعيل، **الجامع الصحيح**، دار طوق النجاة, بيروت ١٤٢٢هـ، كتاب الاذان,باب التسبيح والدعَاء في

{فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا}[8])[9] ذلكَ لأنَّ أصل التأويلَ في اللغة من الأَوْل وهو ما يصيرُ إليه الشيءُ، و تأويلُ الكلامِ: أي عاقبتُه و المرادُ به. وقولُه تعالى: {يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ}[10]، أي تُكشفُ عاقبتُه... وكذا قولُه تعالى: {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْراً}[11] أي حقيقتُه، والمآل: العاقبة والمصير[12]؛ فتأويلُ الآياتِ المتعلقةِ بخلقِ الكونِ هو انكشافُها ومعرفتُها على الحقيقةِ. وسنبينُ معاني هذهِ الآيةِ مُستدلينَ بأقوالِ المفسرينَ واللغويينَ والمختصين، مع ربطِها بإعراباتِها التي ستزيدُها وضوحاً.

الصيغةُ الصرفيةُ لِكلمةِ (كِفات)

ولكنْ قَبْلَ ذلك لابُدَّ مِنْ إلقاءِ الضوءِ على أقوالِ العلماءِ في الصيغةِ الصرفيةِ لِكلمةِ (كِفات) لتتضح معاني الآيةِ؛ وذلك على النحو التالي:

١) اسمُ جنسٍ أو اسمُ آلةٍ، بمعنى: ما يَجمعُ الشئَ ويَضمُّه كالصرَّةِ والصندوقِ ووعاءِ الأَمتعة[13].

٢) جمع (كِفْت) بالكسرِ بمعنى: (وعاء) كقِدح وقِداح[14]

٣) جمعُ كافتٍ فهوَ اسمُ فاعلٍ مِنْ الفعل (كَفَتَ – يَكْفِتُ)؛ كصائم وصِيام[15]، وأُجْرِيَ على ألأَرضِ مع إفرادها باعتبارِ أقطارها[16].

السجود،ج١، ص١٦٣؛ مسلم بن الحجاج، **المسند الصحيح** ، دار إحياء التراث، بيروت، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود، ج١، ص٣٥٠

٨ النصر،١١٠/٣

٩ القطان ،**مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م، ص. ٢٢٣.

١٠ الأعراف،٧/ ٥٣

١١ الكهف،١٨/ ٨٢

١٢ مناع القطان ،**مباحث في علوم القرآن**، ص. ٣٣٧.

١٣ الفخر الرازي، محمد بن عمر بن الحسن، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي،بيروت،١٤٢٠هـ،ج٣٠، ص٧٧٢؛ الآلوسي أبو الثناء محمود بن عبد الله، **روح المعاني**، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥ هـ، ج١٥، ص١٩٣؛ شهاب الدين الخفاجي،**عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى**، دار صادر، بيروت،ج٨، ص٢٩٧؛ اطفيش محمد بن يوسف بن عيسى الجزائري، **التفسير**، ج١٢، ص٩٠.

١٤ البقاعي ابراهيم بن عمر بن حسن، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج٢١، ص١٧٤؛ إسماعيل حقي، **روح البيان**، دار الفكر، بيروت، ج١٠، ص٢٨٥؛ اطفيش، **هميان الزاد**، ج١٥، ص٩٦

١٥ البقاعي، **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**،ج٢١، ص١٧٤،ابن عادل عمر بن علي الدمشقي، **اللباب في علوم الكتاب**، دار الكتب العلمية، بيروت،ج٢٠، ص٧٥

١٦ الآلوسى **روح المعاني**،١٤١٥هـ، ج١٥، ص١٩٣؛ اطفيش، **التفسير**،ج١٢، ص ٩٠.

٤) مصدر من الفعل (كَفَتَ – يَكْفِتُ) كما أنّ الكتابَ مصدرُ كتَبَ، أُجْرى عليها مبالغةً أو بمعنى: (ذاتَ كَفتٍ)، وهذا المصدرُ له معانٍ كثيرةٌ؛ ستأتي أثناءَ طياتِ البحثِ[١٧].

٥) صفةٌ بمعنى سريع؛ قال ابن منظور (ت١٣١١/٧١١): (ومَرٌّ كَفِيتٌ وكِفاتٌ: سريعٌ؛ قالَ زهيرٌ: مَرّاً كِفاتاً إذا ما الماءُ أَسْهَلَها ***حتى إذا ضُرِبَتْ بالسَّوْطِ تَبْتَرِكُ)[١٨].

سِياق الاية

وأما سِياقُ الآيةِ الكريمةِ فَهُوَ سِياقُ التذكيرِ بالنِّعمِ الإلهيةِ والمِنَنِ الرحمانيةِ والآياتِ الكونيةِ والقدرةِ العظيمةِ؛ وما يَعقُبُها مِن التوبيخ على عدمِ شُكرِها وأداءِها حقَّها، والتخويفِ من زوالِها وعاقبتِها؛ يقول الإمام الماتُريدي (ت٩٤٤/٣٣٣): (في ذكرِ هذا كلِّه تذكيرٌ للآلاءِ والنعمِ، وتذكيرُ القدرةِ والسلطانِ والحكمةِ)[١٩]. ويقول الفخر الرازي (ت١٢١٠/٦٠٦) موضحا سببَ مجيئِها بهذا الترتيبِ في النسقِ: (اعْلَمْ أَنَّ هَذَا هُوَ النَّوْعُ الرَّابِعُ مِنَ تَخْوِيفِ الْكُفَّارِ وَذَلِكَ لِأَنَّهُ ذَكَّرَهُمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْأَنْفُسِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ ذَكَّرَهُمْ بِالنِّعَمِ الَّتِي لَهُ عَلَيْهِمْ فِي الْآفَاقِ، ثُمَّ قَالَ فِي آخِرِ الْآيَةِ: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ وَالسَّبَبُ فِيهِ مَا قَدَّمْنَا أَنَّ النِّعَمَ كُلَّمَا كَانَتْ أَكْثَرَ كَانَتِ الْجِنَايَةُ أَقْبَحَ فَكَانَ اسْتِحْقَاقُ الذَّمِّ عَاجِلًا وَالْعِقَابِ آجِلًا أَشَدَّ، وَإِنَّمَا قَدَّمَ تِلْكَ الْآيَةَ عَلَى هَذِهِ الْآيَةِ، لِأَنَّ النِّعَمَ الَّتِي فِي الْأَنْفُسِ كَالْأَصْلِ لِلنِّعَمِ الَّتِي فِي الْآفَاقِ، فَإِنَّهُ لَوْلَا الْحَيَاةُ وَالسَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْأَعْضَاءُ السَّلِيمَةُ لَمَا كَانَ الِانْتِفَاعُ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَخْلُوقِ مُمْكِنًا)[٢٠]. ولماذا لم يأتِ بأداةِ العطفِ على الرغمِ من دوامِ نفسِ السياقِ؟ يقول ابن عاشور: (ت١٩٧٣/١٣٩٣): (جَاءَ هَذَا التَّقْرِيرُ عَلَى سُنَنٍ سَابِقِيهِ فِي عَدَمِ الْعَطْفِ لِأَنَّهُ عَلَى طَرِيقَةِ التَّكْرِيرِ لِلتَّوْبِيخِ، وَهُوَ تَقْرِيرٌ لَهُمْ بِمَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْهِمْ مِنْ خلق الْأَرْض لَهُم بِمَا فِيهَا مِمَّا فِيهِ مَنَافِعُهُمْ كَمَا قَالَ تَعَالَى: {مَتاعاً لَكُمْ وَلِأَنْعامِكُمْ}[٢١]) [٢٢].

١٧ الزبيدي محمد بن محمد الملقب بمرتضى، **تاج العروس من جواهر القاموس**، دار الهداية،ج٥، ص٦١؛ الواحدي علي بن أحمد بن محمد،**التفسير البسيط**، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ،ج٢٣، ص٩٠؛ البيضاوي عبدالله بن عمر بن محمد،**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**،دار إحياء التراث، بيروت،١٤١٨هـ،ج٥، ص٢٧٦

١٨ ابن منظور محمد بن مكرم الإفريقي أبو الفضل، **لسان العرب**، دار صادر، ج٢، ص٧٨؛ وانظر الاصفهاني الحسين بن محمد بن المفضل أبو القاسم،**المفردات في غريب القرآن**، دار القلم، دمشق، ص. ٧١٣

١٩ الماتريدي محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور، **تأويلات أهل السنة**، دار الكتب العلمية، بيروت،ج١٠، ص٣٨١

٢٠ الرازي ، **مفاتيح الغيب**، ٣٠، ٧٧٢

٢١ النازعات،٧٩/ ٣٣

٢٢ محمد الطاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤،ج٢٩، ص٤٣٢

معاني الآية وإعراباتها

من خلال الاطِّلاعِ على أقوالِ المفسرينَ واللغويينَ[٢٣] وأهلِ الاختصاصِ؛ فإنَّ هناك نحواً من ثمانيةِ معانٍ، كلُّها معاً صالحةٌ وموافقةٌ للنصِّ والواقع؛ وما دام النصُّ القرآنيُّ يتحمل هذه الوجوهَ فلا مانعَ من حَمْلِهِ عليها؛ما دام ليسَ هناكَ قرينةٌ[٢٤] تمنعُ مِن إرادةِ تلك المعاني.

المعنى الأول: القَبْضُ والجَمْعُ والجَذْبُ والضَمُّ

وهذا المعنى هو الرئيسي من بين المعاني، والذي اتَّفقَ عليه كلُّ المفسرينَ؛ قال الواحدي (ت١٠٧٦/٤٦٨): الكفت في اللغةِ: الضمُّ، والجمعُ، يُقالُ: كَفَتُّ الشيء: أي ضممْتُهُ فانْكفتَ، أيْ انضمَّ، ومِنْهُ قول أوس:

كِرامٌ حين تَنْكَفِتُ الأفاعي... إلى أجحارهنَّ من الصَّقيعِ

وقال قتادة (ت٧٣٧/١١٨): (تكفِتُهم أحياءً فوقها على ظهرِها، و"أمواتاً" إذا قُبِروا فيها. وهذا قولُ جماعةِ المفسرينَ)[٢٥]، وقال الثعالبيُّ (ت١٤٧٠/٨٧٥): (والكِفَاتُ: الستر والوعاء الجامع للشيء بإجماع)[٢٦].

لكنْ منهم مَنْ خَصَّها بالضمِّ في البيوتِ، ومنهم مَنْ جعلها عامةً وهو الصحيحُ الموافقُ لعمومِ الآيةِ؛ فعلى الدلالة الأُولى يقول الإمام الطبري (ت٩٢٣/٣١٠): (يقول تعالى ذكره: مُنَبِّهاً عبادَهُ على نِعَمِهِ عليهم: (أَلَمْ نَجْعَلِ) أيها الناس (الأرضَ) لكم {كِفاتاً} يقول: وعاءً، تقول: هذا كِفْتُ هذا وكَفِيتُهُ، إذا كان وعاءَهُ. وإنما معنى الكلام: ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائكم وأمواتكم، تكْفِت أحياءَكم في المساكن والمنازل، فتضمهمْ فيها وتجمعهمْ، وأمواتَكم في بُطونها في القبورِ، فيُدفَنون فيها)[٢٧].

وعلى دلالةِ العمومِ قال الإمامُ مكي بن أبي طالب (ت١٠٤٥/٤٣٧): (قال الشعبي (ت٧٢١/١٠٣): {كِفاتاً}:" بطنُها لأمواتِكم وظهرُها لأحيائِكم")[٢٨]. وقال الفراء (ت٨٢٢/٢٠٧): (أي: تحفظُهم وتحرزُهم)[٢٩]

٢٣ انظر مساعد الطيار، **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**، دار ابن الجوزي،١٤٣٢هـ، (ص. ٤٠)

٢٤ القرائن المانعة مثل مخالفة نصوص القران والسنة والإجماع، أو مخالفة العربية وغيرها من شروط التفسير بالرأي.

٢٥ الواحدي،**التفسير البسيط**، ج٢٣، ص٩٠؛ والبيت الشعري ورد في كتاب "سيبويه"غير منسوب.انظر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر، **الكتاب**، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ١٩٨٨م، ج٣، ص٥٧٦

٢٦ الثعالبي عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الجزائري، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ،ج٥، ص٥٣٨

٢٧ الطبري محمد بن جرير بن يزيد أبو جعفر، **جامع البيان**، مؤسسة الرسالة،بيروت،٢٠٠٠م،ج٢٤، ص١٣٣

٢٨ مكي بن أبي طالب الاندلسي، **الهداية الى بلوغ النهاية**، جامعة الشارقة، ٢٠٠٨ م، ج١٢، ص٧٩٦٣

٢٩ الفراء يحيى بن زياد بن عبد الله، **معاني القرآن**، الدار المصرية، ج٣، ص٢٢٤

وجمع الإمام الماتريدي بين الرأيين فقال: (تكفِتُهم، أي: تضمُّهم وتجمعُهم في حياتِهم وبعدَ مماتِهم، فالانْضمامُ إليها في حالِ حياتِهم:ما جعلَ لهم مِنْ المساكنِ فيها والبيوتِ، وجعلَ لهم بعدَ مماتِهم مقابرَ يُدْفنونَ فيها، أو جعلَ مُتَقَلَّبَهم ومَثْواهم في ظهورِها في حياتِهم، وجعل بطنها مأوى لهم بعدَ وفاتِهم) [٣٠].

وهذا المعنى يوافِقُ ما جاء في الحديث: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رض)، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (ص): «أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ عَلَى الجَبْهَةِ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ عَلَى أَنْفِهِ وَاليَدَيْنِ وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ القَدَمَيْنِ وَلاَ نَكْفِتَ الثِّيَابَ وَالشَّعَرَ»[٣١]؛ قال ابن رجب (ت٧٩٥/١٣٩٣)[٣٢]: (معنى (نكفت) أي: نضم ونجمع، ومنه قوله تعالى: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً} أي: نكفتهم ونضمهم ونجمعهم وهم أحياءٌ على ظهرِها، وإذا ماتوا ففي بطنِها) وكذا قال ابنُ حجرٍ العسقلاني (ت٨٥٢/١٤٤٩)[٣٣].

وهذه الآيةُ فيها إشارةٌ واضحةٌ جليّةٌ إلى "الجاذبيةِ الأرضيةِ" التي تربطُ كل الموجودات الحية وغير الحية بالأرضِ، وتلصِقُ كلَّ شيءٍ بها لا تسمحُ له بفكاك[٣٤] كما ذكر اللغويون (جِرَابٌ كَفِيتٌ: لَا يُضَيِّعُ شَيْئًا يُجْعَلُ فِيهِ)[٣٥]، فكلّ شيءٍ على سطحِ الأرضِ ينجذبُ إليها، وما وزنُ الأشياءِ في حقيقةِ الأمرِ إلاّ قوّةُ جذبِها نحو الأرضِ فإنها تسحبهم إليها وتضمهم إلى صدرها بشدة، كما تفعل الأم الحنون؛ قال الإمامُ الرازيُّ: (كَانُوا يُسَمُّونَ الْأَرْضَ أُمًّا لِأَنَّهَا فِي ضَمِّهَا لِلنَّاسِ كَالْأُمِّ الَّتِي تَضُمُّ وَلَدَهَا وَتَكْفُلُهُ)[٣٦]، ولكون الأرضِ لا يفلتُ منها شيءٌ أبداً جاءتْ الصيغةُ "كفات" مصدراً للمبالغةِ، وجاء المفعولُ {أَحْياءً وَأَمْواتاً} نكرةً ليُفيدَ العمومَ والشمولَ في كل شيءٍ على وجهِ البسيطةِ؛ فالمقصودُ كلُ أحياءِ الإنسِ والجنِ وأمواتِهم... وكلُ ما يُنْبِتُ وما لا يُنْبِتُ[٣٧]؛ قال الرازي: (لِمَ قِيلَ: أَحْياءً وَأَمْواتاً عَلَى التَّنْكِيرِ وَهِيَ كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ جَمِيعًا؟ الْجَوَابُ: هُوَ مِنْ تَنْكِيرِ التَّفْخِيمِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَكْفِتُ أَحْيَاءً لَا يُعَدُّونَ، وَأَمْوَاتًا لَا يُحْصَرُونَ)[٣٨].

ولمْ تأتِ كلمة (لكم) بعدَ {كفاتا}؛ لكي تُفيدَ العمومَ المطلقَ وهو الموافِقُ للحقيقةِ العلميةِ، وهو خلافُ ما

---

٣٠ الماتريدي، **تأويلات أهل السنة**، ج١٠، ص٣٨٢، السمرقندي ابو الليث نصر بن محمد، **بحر العلوم**، ج٣، ص٥٣٣

٣١ البخاري، **الجامع صحيح**، كتاب الاذان، بَابُ السُّجُودِ عَلَى الأَنْفِ، ج١، ص١٦٢؛ مسلم، **المسند الصحيح**، كتاب الصلاة، بَابُ أَعْضَاءِ السُّجُودِ، ج١، ص٣٥٤

٣٢ ابن رجب عبد الرحمن بن احمد الحنبلي، **فتح الباري**،مكتبة الغرباء، المدينة المنورة، ج٧، ص ٢٥٥

٣٣ ابن حجر أحمد بن علي بن محمد العسقلاني، **فتح الباري**، دار المعرفة، بيروت، ج١، ص١٧٩

٣٤ محمد الغزالي، **نحو تفسير موضوعي**، دار النهضة، مصر،ص. ٤٩٦؛ محمد الغزالي،**تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع**،دار النهضة،مصر،ص.٧٠

٣٥ ابن فارس احمد بن فارس بن زكريا الرازي، **مقاييس اللغة**، دار الفكر،بيروت، ١٩٧٩م.،ج٥، ص١٩٠؛ الأزهري، محمد بن احمد، **تهذيب اللغة**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠١م، ج١٠، ص٨٥؛ الواحدي، **التفسير البسيط**، ج٢٣، ص٩٠

٣٦ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٧٧٣؛ إسماعيل حقي، **روح البيان**، ج١٠، ص٢٨٥

٣٧ البيضاوي،**أنوار التنزيل**، ١٤١٨هـ،ج٥، ص٢٧٦؛ الشهاب الخفاجي، **عناية القاضي وكفاية الراضي**، ج٨، ص٢٩٧

٣٨ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٧٧٣

قدَّرهُ الطبريُّ حيثُ قال: (أَلَمْ نَجْعَلِ أيها الناس الأرضَ "لكم" كِفاتاً) وخلافُ الإعرابِ الذي ذكرَهُ الآلوسي (ت١٢٧٠/١٨٥٤)؛ حيث قال: (وجُوِّزَ انتصابُ الجَمْعينِ {أَحْياءً وَأَمْواتاً} على الحاليةِ من مفعولِ كِفاتاً المحذوفِ، والتقديرُ كِفاتاً "إياهم أو إياكم"، أو كِفاتاً "الأنْس" أَحْياءً وَأَمْواتاً)[٣٩] أو ما ذكره أطْفَيّش (ت١٣٣٢/١٩١٤). حيث قال: (كِفاتاً حالٌ مِن كافٍ محذوفةٍ، أيْ ألمْ نجعلْ لكم الأَرض)[٤٠].

وعلى هذا التأويل فانَّ الإعراباتِ المحتملةَ للآيةِ كالتالي:

الإعراب الأول: {كِفاتاً} مفعولٌ به ثانٍ لـ (جعلنا)، فيكونُ إعرابُ {أَحْياءً وَأَمْواتاً}:

١) مفعولا به لـ {كِفاتاً} إنْ جعلناه مصدرا أو اسمَ فاعلٍ، وإنْ جعلناه اسماً فإنّهما مفعولين بفعلٍ محذوفٍ تقديره تكفِتُ.

٢) حالاً من الأرض أو مِن مفعولِ {كِفاتاً} المحذوفِ.. أو مِن مفعولٍ حُذِفَ مع فِعلِهِ[٤١]

٣) تمييزا من {كِفاتاً} إنْ جعلناه اسماً لما يَجمعُ ويَضمُّ[٤٢]

٤) صفتين لـ {كِفاتاً} إنْ جعلناه اسماً؛ وكأنَّهُ قِيلَ: أوعيةً حيةً وميتةً[٤٣]

٥) بدلا من {الأرض}[٤٤]

الإعراب الثاني: {كِفاتاً} حالٌ مِن الأرضِ، أو مِن {أَحْياءً وَأَمْواتاً} باعتبارهما ثاني مفعولي نجعل.[٤٥]

المعنى الثاني: الطّيرانُ السّريعُ الشديدُ

وهذا المعنى الثاني ذكره الراغبُ (ت٥٠٢/١١٠٨) حيث قال: (والكِفَاتُ، قيل:هو الطّيرانُ السّريع... والكَفْتُ: السّوقُ الشّديد)[٤٦] وكذا الفيروزآبادي (ت٨١٧/١٤١٥)[٤٧] والأبياري (ت١٤١٤/١٩٩٤)[٤٨] وسائر اللغويين في

---

٣٩ الآلوسي، **روح المعاني**،ج١٥، ص١٩٣

٤٠ اطفيش، التفسير،ج١٢، ص٩٠، المقصود من الكاف أي ضمير المخاطب (كم)

٤١ الآلوسي، **روح المعاني**،ج١٥، ص١٩٣؛ ابن هشام، **أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن**، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ١٤٠٣هـ، (ص. ١٩)

٤٢ ابن هشام، **أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن** (ص. ١٩):اطفيش، **هميان الزاد**، ج١٥، ص٩٦

٤٣ المصدران السابقان

٤٤ زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، **إعراب القرآن العظيم**، ١٤٢١هـ، ص. ٥٤٥

٤٥ الآلوسي، **روح المعاني**،ج١٥، ص١٩٣؛ المظهري، **التفسير**، مكتبة الرشدية، الباكستان،١٤١٢،ج١٠، ص١٦٦

٤٦ الاصفهاني،المفردات في غريب القرآن، ص. ٧١٣

معاجمهم؛ وهو يصف حركةَ الأرضِ السريعةَ الشديدةَ وهي تطيرُ وتسبحُ في الجوّ؛ وعلى هذا القولِ فإنَّ الاعراباتِ المحتملةَ للآيةِ كالآتي:

الإعراب الأول: {كِفاتاً} مفعول به ثان لـ (جعلنا)،فإنْ جعلناه مصدرا فالمعنى: ذاتَ طيرانٍ سريعٍ, وإنْ صيَّرناهُ صفةً - كما ذكرنا في التوجيه الصرفي - فعلى ظاهرِه؛ فيكون إعراب {أَحْياءً وَأَمْواتاً}:

١) منصوباً على نزعِ الخافض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ سابِحة بأحياءٍ وأمواتٍ).

٢) بدلاً من الأرض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ أحياءَها وأمواتَها تسبحُ في الفضاء).

٣) ويُمكِنُ فيها الحاليةَ من الأرضِ أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ حال كونها ذاتَ أَحْياء وَأَمْوات تسبحُ مُسرعةً في السماءِ) [٤٩].

الإعراب الثاني: {كِفاتاً} حال من الأرض, و{أَحْياءً وَأَمْواتاً} ثاني مفعولي نجعل.

فالمولى جل وعز يصِفُ الأرضَ بأنَّها تسبحُ بِسرعةٍ كبيرةٍ بِكلِّ ما فيها مِن مخلوقاتٍ وأشياءَ حيةٍ وغير حيةٍ ورغمَ ذلكَ فَهُم مستقرون ثابتون على ظهرِها لا تُلقيهم عنها بسببِ جاذبيتِها الهائلةِ؛ يقول السمعاني (ت١٠٩٦/٤٨٩): (معنى الكفات هَاهُنَا: هُوَ أَنَّ الأَرْضَ تضُمُّ الْخلقَ أَحْياءً وَأَمْواتاً، فالضم فِي حَال الْحَيَاة هُوَ باكتنانهم واستقرارهم على ظهرهَا...) [٥٠] و(استقرارُ النَّاسِ على وجه الأرضِ، ثم اضطجاعُهم عليها، انضمامٌ مِنهمْ إليْها) [٥١]. وهذا مِن عظيمِ آياتِ اللهِ ونعمِهِ.

المعنى الثالث: الحركةُ الحلزونيةُ اللَوْلَبِيَّةُ المُتَعرِجَةُ

من المعاني الثابتةِ المُجْمَعِ عليها أنَّ (الكِفات من العَدْوِ والطيرانِ كالحيدانِ في شِدَّةٍ)[٥٢] و(كَفَتَ يَكْفِتُ كَفْتاً وكَفَتاناً وكِفاتاً: أَسْرَع في العَدْوِ والطَّيَرانِ وتَقَبَّضَ فيه, والكَفَتانُ من العَدْوِ والطيرانِ كالحَيَدانِ في شِدَّة)[٥٣] و (الكُفَتُ من الْخَيل: الشَّديدُ الوثبِ)[٥٤]

٤٧ الفيروزابادي, بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز "ص. ١٣٢٣"

٤٨ الابياري ابراهيم بن اسماعيل, **الموسوعة القرآنية**, مؤسسة سجل العرب, ١٤٠٥هـ, ج٨، ص٤٨٨

٤٩ السمين الحلبي, **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**,دار القلم، دمشق,ج ١٠/ص٦٣٧

٥٠ السمعاني منصور بن محمد بن عبدالجبار أبو المظفر, **التفسير**, دار الوطن، الرياض,١٩٩٧,ج٦، ص١٢٩

٥١ ابن عادل, **اللباب في علوم الكتاب**, ج٢٠، ص٧٥

٥٢ الفراهيدي الخليل بن احمد, **العين**, دار هلال, ج٥، ص٣٤٠

٥٣ ابن منظور, **لسان العرب**,ج٢، ص٧٨؛ وانظر الأزهري, **تهذيب اللغة**, ج١٠، ص٨٥

٥٤ الفيروزابادي, **القاموس المحيط**, مؤسسة الرسالة, بيروت,٢٠٠٥م, ص١٥٩؛ مجموعة من العلماء, **المعجم الوسيط**, دار

وهذا المعنى العظيمُ يُجَلِّي لنا معجزةً غايةً في الروعةِ: وهو وصفُ الأرضِ بالحركةِ المَوْجيَّة الاهتزازيةِ التي تتميزُ بالحُيودِ والميلانِ في شدةٍ، والتي تَشْبهُ حركةَ الطيرِ المُسْرِعِ (انظر الشكل رقم "١")، والخيلِ الواثبِ القافزِ؛ ذلك أنَّ الأرضَ تدورُ حولَ الشمسِ؛ والشمسُ ليستْ ثابتةً بل تجري كما وصفها اللهُ: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[٥٥] ولذلك فإنَّ الشكلَ الدقيقَ لهذه الحركةِ هو الكَفْتُ كما نَعَتَهُ الربُّ سبحانه؛ وهذا إذا نظرنا مِن خارجِ المجموعةِ الشمسيةِ (انظر الشكل رقم "٢")[٥٦]. والاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابقِ الثاني؛ فتكون كالآتي:

الإعراب الأول: {كِفاتاً} مفعول به ثان لـ (جعلنا)، فالمعنى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ ذاتَ حركةٍ موْجيَّة؛ ويكونُ إعراب {أَحْياءً وَأَمْواتاً}:

١) منصوباً على نزعِ الخافض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ منطلقةً متموجةً بأحياءٍ وأمواتٍ في السماءِ).

٢) بدلاً من الأرض أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ أحياءَها وأمواتَها تسبحُ بحركة لولبيةٍ).

٣) ويُمكِنُ فيها الحاليةَ من الأرضِ أي (أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ حال كونها ذاتَ أَحْياء وَأَمْوات تدورُ موجياً).

الإعراب الثاني: {كِفاتاً} حال من الأرض، ويكون {أَحْياءً وَأَمْواتاً} ثانيَ مفعولي نجعل.

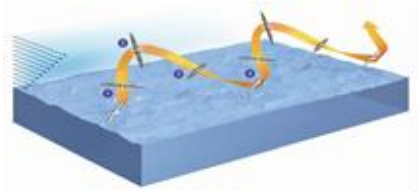

(الشكل رقم ١)هكذا يرسم الطائر مساراً يشبه المسار الذي ترسمه الأرض أثناء حركتها عبر المجرة.[٥٧]

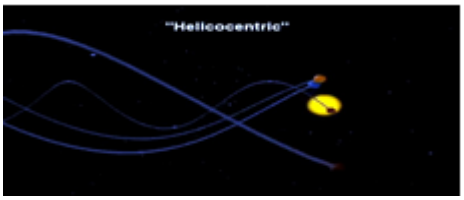

(الشكل رقم ٢) حركة الارض حول الشمس إذا نظرنا من خارج المجرة.. والأرض...[٥٨]

الدعوة، ج٢، ص٧٩١

٥٥ يس،٣٦/ ٣٨

56 www.kaheel7.com ،ar

57 http://spectrum.ieee.org/aerospace/robotic-exploration/the-nearly-effortless-flight-of-the-albatross

58 www.djsadhu.com/the-helical-model-vortex-solar-system-animation

المعنى الرابع: الدورانُ والتَقَلُّبُ

ذكر الإمام الماتريدي[٥٩] والشوكاني (ت١٢٥٠/١٨٣٤)[٦٠] وغيرُهما وكذا أصحابُ المعاجمِ والقواميسِ أنَّ مِن معاني الكفت: الدورانُ والتَقَلُّبُ؛ يقول الزبيدي (ت١٢٠٥/١٧٩٠): (الكَفْتُ تَقَلُّبُ - وفي بعض النسخ - تَقْليبُ الشَّيْءِ ظَهْراً لِبَطْنٍ وبطناً لظهرٍ)[٦١]

وهو وصفٌ دقيقٌ لِحركةِ الأرضِ حولَ نفسِها ودورانِها حولَ محورِها وتَقَلُّبِها في الفضاءِ. وهذا المعنى أكدَّهُ الربُّ بآياتٍ كثيرةٍ منها: قوله تعالى:{يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ}[٦٢] {وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ}[٦٣] وإعراب الآية حسب هذا المعنى يكون كسابقيه

المعنى الخامس: دورانُ الأرضِ في مداراتٍ ثابتةٍ حولَ نفسِها, وحولَ الشمسِ

ذكر المفسرون أنَّ مِن معاني الكفتِ: العودةُ إلى نقطةِ البدايةِ؛ فذكروا أنَّهُ: (يُقالُ انْكَفتَ القومُ إلى منازلِهم، أي: انقلبوا)[٦٤] ويقال: (كَفَتُّ القومَ، أي: ألْحقتُ أوَّلهم بآخرِهم)[٦٥]. فهذا المعنى يوافِقُ تماماً الحقائقَ العلميةَ في رجوعِ الأرضِ إلى نقطةِ انطلاقِها في مدارِها حولَ ذاتِها ممَّا يُنْتِجُ الليلَ والنهارَ, وحولَ الشمسِ ممَّا يُشَكِّلُ الفصولَ الأربعةَ بصورةٍ دوريةٍ منتظمةٍ؛ وهذا المعنى في الحقيقةِ مُكَمِّلٌ لسابِقِهِ وإنَّما أثبتناه لوجودِهِ بِعَيْنِه في اللغة العربية. وأيضاً فهو لا يُخالِفُ التفسيرَ الثاني بل يُكَمِّلهُ، لأنَّنا نتكلم هنا عن رؤيتنا للأرضِ مِن داخلِ المجموعةِ الشمسيةِ, وفي المعنى الثاني نتكلمُ عنها مِن خارجِ المجموعةِ الشمسيةِ. والإعراب هنا أيضاً لا يختلفُ عن سابقيه.

٥٩ انظر الماتريدي, **تأويلات أهل السنة**, ج١٠، ص٣٨٢

٦٠ انظر الشوكاني, محمد بن علي, **فتح القدير**, دار ابن كثير، دمشق،١٤١٤هـ, ج٥, ص٤٣٢

٦١ الزبيدي, **تاج العروس من جواهر القاموس**, ج٥، ص٦٣، وانظر الفراهيدي,**العين**, ج٥، ص٣٤٠

٦٢ الزمر،٣٦/ ٥

٦٣ الأنبياء,٢١/ ٣٣

٦٤ القرطبي ابو عبدالله محمد بن احمد، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية,القاهرة, ١٩٦٤م,ج١٩، ص١٦٢؛ ابن عادل, **اللباب**, ج٢٠، ص٧٥؛ الخطيب الشربيني, **السراج المنير**, مطبعة بولاق, القاهرة, ١٢٨٥هـ ج٤، ص٤٦٥؛ وانظر الأزهري, **تهذيب اللغة**, ج١٠، ص٨٥

٦٥ ابن فارس, **مجمل اللغة**, مؤسسة الرسالة, ١٩٨٦, ص. ٧٨٨

المعنى السادس: الأرض تَكْفِتُ أذاهم في حال حياتهم، وجِيَفِهِم بعدَ مَماتِهم [٦٦]

وهذا التأويل صرَّح به جملةٌ مِن المفسرين[٦٧] ؛ قال مجاهدُ (ت١٠٤/٧٢٢): {كِفاتاً}: تَكْفِتُ أذاهم وما يخرجُ مِنهم أحياءً وأمواتاً[٦٨] وعلى هذا التأويل فانَّ الإعرابات المحتملةَ للآيةِ تكون كالإعراب الأول من المعنى الأول؛ لأننا لا يُمكنُ هنا أنْ نعربَ {كِفاتاً}حالاً. والله اعلم.

وهذا المعنى غايةٌ في الأهميةِ فإنّ أحدَ أكبرِ الأسبابِ في بقاء الحياة على الأرض؛ هو قدرتُها على استيعابِ كل ما يموتُ على ظهرها, وتحليله, وتحويله مِن مادةٍ في غايةِ الضررِ والأذى إلى موادَّ نافعةٍ للأحياءِ تُسْهِمُ في تنشيطِ الأرضِ وتزويدِها ب"الطاقةِ المتجددةِ" وإعادةِ الحياةِ إليها؛ مُكوِّنة ما يُسمَّى عِلْمياً "النظام البيئي" المتكامل والمتوازن.

المعنى السابع: أنَّ الأرضَ جامعةٌ ضامةٌ لكل حاجاتِ الخَلْقِ وضروراتهم

وفي هذا المعنى يقول الرازي: أن الأرض (كِفَاتُ الْأَحْيَاءِ بِمَعْنَى أَنَّهَا جَامِعَةٌ لِمَا يَحْتَاجُ الْإِنْسَانُ إِلَيْهِ فِي حَاجَاتِهِ مِنْ مَأْكَلٍ وَمَشْرَبٍ، لِأَنَّ كُلَّ ذَلِكَ يَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ. وَالْأَبْنِيَةُ الْجَامِعَةُ لِلْمَصَالِحِ الدَّافِعَةُ لِلْمَضَارِّ مَبْنِيَّةٌ مِنْهَا)[٦٩]. وقريبٌ مِنْه قولُ الماتريدي: (جعل مُتَقَلَّبَهم ومثواهم في ظهورها في حياتهم، وجعل بطنها مأوى لهم بعد وفاتهم، وجعل ظهرها بِساطا لهم؛ لِيسلُكوا فيها سُبلا فِجاجا؛ وقدَّر لهم فيها أقْواتَهم)[٧٠] وهذا المعنى أكدَّهُ الربُّ بآياتٍ كثيرةٍ منها: {وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا}[٧١]. وهذه الدلالة يسندها أيضا أحد معاني "الكفت"؛ وهو "الكَفِيتُ": القُوتُ من العَيْش[٧٢], وهذا المعنى له دلالتان:

الأولى: أنَّ الأرضَ إنما تبقى جامعةً لأقواتِ "الأحياءِ" بسبب وجود الأموات, أي بسبب"النظام البيئي"؛ فإنَّ أقوات الأرض إنَّما تدومُ وتستمرُ؛ لأنّ الكائناتِ الحيةَ التي تموتُ, تتحللُ في التربة وتُشكِّلُ غذاءَ النباتات وسمادَها الذي به بقاؤُها ودوامُها؛ والتي تكون بالنتيجة غذاءَ الحيوانات؛ ومن ثم فَهُما قوتا الإنسان الذي به حياته ودوامه؛ وهكذا فإن البقاء مرهون بهذه الدورة البيئية المتكاملة.

---

٦٦ وهذا المعنى والمعاني الآتية تابعةٌ للمعنى الأول: (الضم والجمع), لكنني أخرتها لاستقلالها بدلالات جديدة

٦٧ انظر مكي بن أبي طالب, **الهداية الى بلوغ النهاية**,ج١٢، ص٧٩٦٣؛ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٧٧٢

٦٨ الطبري, **جامع البيان**, ج٢٤، ص١٣٤

٦٩ الرازي، **مفاتيح الغيب**، ج٣٠، ص٧٧٢

٧٠ الماتريدي, **تأويلات أهل السنة**, ج١٠، ص٣٨٢

٧١ فصلت,٤١/ ١٠

٧٢ ابن سيدة علي بن إسماعيل, **المحكم والمحيط الأعظم**, دار الكتب العلمية, بيروت, ١٤٢١هـ, ج٦/ص٧٧٤؛ ابن منظور, **لسان العرب**,ج٢,ص٧٨

والأخشابُ شكَّلت مُعظمَ مصادرِ الطاقةِ القديمةِ. وهكذا النفط والغاز والفحم الحجري فقد تكونت من الغابات والحيوانات المندثرة والمنطمرة عبر ملايين السنين تحت طبقات التربة.

الثاني: أنَّ الأرض إنّما تكون جامعةً لأرزاقِ أجيال الناس وعصورهم حالَ كون الناس أحياء وأمواتا؛ فانه يستحيل استمرار الأرض قوتاً للناس من آدمَ إلى آخر الزمانِ لو لم يكنْ هناك موتٌ، فموتُ البعض مِمَن فَقَدَ القدرةَ على البقاءِ هو سببٌ في بقاء البعضِ الآخرِ الذي يستمتعُ بِقُوَّةِ الشبابِ وحيويتهم؛ وفي هذا يقول الشيخ محمد الحسن الشنقيطي: (مِن رحمةِ الله بالناس أنْ خَلَقَ الموتَ والمصائبَ لتتسع الأرضُ لساكنها وقد ورد في حديث ضعيف: عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: " لَمَّا خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِنَّ الْأَرْضَ لَا تَسَعُهُمْ, فَقَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ مَوْتًا, قَالَ: إِذًا لَا يُهَنِّئُهُمُ الْعَيْشُ, قَالَ: إِنِّي جَاعِلٌ أَمَلًا "[٧٣]. فالموت به تَسَعُ الأرضُ الخلائقَ، فالأرضُ جعلها اللهُ {كفاتاً أحياءً وأمواتاً}؛ فلذلك يعيشُ الأحياءُ على ظهرها، ويُدفن الأمواتُ في بطنها فتتسع لهم بالموتِ، والأرزاقُ كذلك إنَّما تَعُمُّ الخلائق بالموت. فللهِ حكمةٌ في كل أمر) [٧٤], وعلى هذا التأويل فانَّ الإعراباتِ المحتملةَ للآيةِ كما في المعنى الأول.

المعنى الثامن: أنَّها غطاءٌ ووعاءٌ لما فيها

وقد سبقَ تِبيانُ هذا المعنى في الصيغةِ الصرفيةِ الأولى؛ والناظرُ إلى الكائناتِ على الأرضِ لا يرى هذا الأمرَ؛ فَهُم على الأرضِ وفوقَها وليسوا في بطنِها وداخِلِها، هكذا يبدو لأولِ وهلةٍ إلَّا أنَّ الرائيَ لها على الحقيقةِ يراهم في داخِلِها وفي وعائِها وهي تُغَطِّيهم, وذلك بسببِ "الغلاف الجوي" المحيطِ بالأرضِ مثلَ الحزامِ و الذي يحمينا من المخاطرِ ويوفِّرُ مُعظمَ أسبابِ الحياةِ؛ وبسببِ هذا "الغلافِ" فإن القران لم يقلْ أبداً "سِيرُوا على الْأَرْضِ" ولم يستعمل "على" الاستعلائية, بل استعمل "في" الظرفية؛ فقال: {سِيرُوا فِي الْأَرْضِ}[٧٥] وكرّر هذه الآيةَ (١٣) مرةً مُؤَكِّداً هذا المعنى المهمَ الدقيقَ.[٧٦] ولنفس الدلالةِ قال تعالى:{سَعَى فِي الْأَرْضِ}[٧٧], وقال: {يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ}[٧٨], وقال:{وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ}[٧٩], إذاً فالآية تشير إلى "غلافِ الأرضِ الجوي" بأبسطِ تعبيرٍ

---

٧٣ ابن أبي شيبة, **المصنف**,مكتبة الرشد, الرياض,١٤١٠هـ,ج٧,ص١٩٠, وقال السيوطي في **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** دار الفكر, بيروت,ج١,ص١١٤,(أخرجه ابْن أبي شيبَة فِي المُصَنّف وَأحمد فِي الزّهْد وَابْن أبي الدُّنْيَا فِي الأمل)

٧٤ **دروس للشيخ محمد الحسن الددو الشنقيطي**,ج٢,ص١٠، http://shamela.ws/index.php/book/7722

٧٥ الأنعام,٦/ ١١

٧٦ الشعراوي محمد متولي, **التفسير**, مطابع أخبار اليوم, ج٣/ص١٧٧١, ج٥/ص٣٠٩٨, ج١٢/ص٧١٣١

٧٧ البقرة,٢/ ٢٠٥

٧٨ المائدة,٥/ ٢٦

٧٩ المائدة,٥/ ٣٣

وأجملِه[٨٠]، والإعرابات هنا، كما هي في المعنى الأول.

المعنى التاسع: أنَّ مِن الأرضِ أحياءً بالعمارةِ والنباتِ، وأمواتاً بالجدبِ والجفافِ

يقول ابن الجوزي (ت١٢٠١/٥٩٧): (المعنى: ألم نجعل الأرض أحياءً بالعمارةِ والنباتِ، وأمواتاً بالخرابِ واليبسِ، هذا قول مجاهد، وأبي عبيدة (ت٨٢٣/٢٠٨))[٨١]. أي أنَّ الأرضَ منقسمةٌ إلى حيٍّ وهو الذي يُنبِتُ، وإلى ميتٍ وهو الذي لا يُنْبِتُ. والإعرابُ الأوّلُ مِنَ المعنى الأوّلِ نفسُه هنا.

جدول توضيحي للاعرابات

	المعنى	إعراب: كِفاتاً	إعراب: أَحْياءً وَأَمْواتاً
١	الضم والجمع	مفعولٌ به ثانٍ لـ (جعلنا)	مفعولا {كِفاتاً} او بفعلٍ محذوفٍ تقديره تكفِتُ
			حالاً من الأرض أو مِن مفعولِ {كِفاتاً} المحذوفِ أو مِن مفعولٍ حُذِفَ مع فِعلِهِ
			تمييزا من {كِفاتاً} إنْ جعلناه اسماً لما يَجمعُ ويَضمُّ
			صفتين لـ{كِفاتاً} إنْ جعلناه اسماً
			بدل من الأرض
		حالٌ مِن الأرضِ	ثانيَ مفعولَي {نَجْعَلِ}
٢	الطيرانُ السريعُ	مفعولٌ به ثانٍ لـ (جعلنا)	منصوب على نزعِ الخافض
			بدل من الأرض
			حالٌ مِن الأرضِ
		حالٌ مِن الأرضِ	ثاني مفعولَي {نَجْعَلِ}
٣	الحركةُ المتعرجةُ	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابقِ "٢"	
٤	الدورانُ والتقلبُ	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابقِ "٢"	

٨٠ أحمد عمر أبو شوفة، **المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة**، دار الكتب الوطنية، ليبيا، (ص. ٧٠)

٨١ ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي، أبو الفرج، **زاد المسير في علم التفسير**، دار الكتاب العربي، بيروت،١٤٢٢هـ، ج٤، ص٣٨٥؛ وانظر الماوردي، **النكت والعيون**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٦، ص١٧٩؛ ابن عطية، **المحرر الوجيز**، ج٥/ ص٤١٩؛ ابن عادل، **اللباب**، ج٢٠، ص٧٥

٥	الدورانُ بمداراتٍ ثابتةٍ	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى السابقِ "٢"
٦	كَفْتُ الأذى	نفس الإعراب الأول من المعنى الأول "١"
٧	جامعة للضروريات	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى الأول "١"
٨	غطاء ووعاء	الاعراباتُ المحتملةُ هنا كما في المعنى الأول "١"
٩	مِن الأرضِ أحياءٌ وأموات	نفس الإعراب الأول من المعنى الأول "١"

الخاتمة

تبيَّنَ مِن خِلالِ هذا البحثِ الإعجازُ البليغُ في اختيارِ الكلمةِ القرآنيةِ صوتاً وصرفاً ومعنًى؛ وقد انْكشفَ مِن خلالِ البحثِ تسعةُ معانٍ لكلمةِ {كِفاتاً} كلُها تُطابقُ النسقَ القرآنيَ, واللغةَ العربيةَ, والحقيقةَ العلميةَ والواقعَ كما هو, ولا تخالفُ أيَّ نصٍّ شرعيٍّ مِن كتابٍ أو سنةٍ, ولا إجماعٍ, ولا نصٍ لغويٍّ أو قواعدَ نحويةٍ أو صرفيةٍ, ولا يوجدُ ما يَنْقُضُها مِن أقوالِ السلف رحمهم الله، وهذه المعاني هي: (الضمّ, والطيرانُ السريعُ, والحركةُ المتعرجةُ, والدورانُ والتقلبُ، والدورانُ في مداراتٍ ثابتةٍ, وكَفْتُ الأذى, وكونُ الأرضِ جامعةً للضرورياتِ، وكونُها غطاءً ووعاءً, وأنَّ مِن الأرضِ أحياءً بالعمارةِ والنباتِ, وأمواتاً بالجدبِ) و هذه المعاني اعْتَوَرَها نحوٌ مِن سبعةِ إعرابات.

وقد كانَ القصدُ مِنهُ إبرازَ وكشفَ بعضِ وجوهِ عظمةِ القرآنِ وإعجازِه, وإظهارَ أهميةِ المشتركِ اللفظي في تفسيرِ الكتابِ العزيزِ؛ مِمّا يدفعُنا إلى المطالعةِ المستمرةِ في أقوالِ المفسرين وكتبِ المعاجمِ والمرادفاتِ والفروقِ والأشباه والنظائرِ, وضرورةَ التدبرِ العميقِ عندَ قراءتِه اليوميةِ, والربطَ الدائمَ المستمرَ بينَه وبينَ الحقائقِ الكونيةِ والإنسانية والعلميةِ والواقعيةِ لتنكشفَ أسرارُ عَظَمَتِه أكثرَ.

المصادر

ابن أبي شيبة, **المصنف**,مكتبة الرشد, الرياض,١٤١٠هـ

ابن حجر العسقلاني، **فتح الباري**, دار المعرفة, بيروت

ابن رجب الحنبلي, **فتح الباري**,مكتبة الغرباء, المدينة المنورة

ابن عادل, **اللباب في علوم الكتاب**, دار الكتب العلمية, بيروت,, دار الكتب العلمية, بيروت

ابن عاشور, **التحرير والتنوير**, الدار التونسية للنشر, ١٩٨٤م

ابن عطية, **المحرر الوجيز**, دار الكتب العلمية - بيروت

ابن فارس, **مجمل اللغة**, مؤسسة الرسالة, ١٩٨٦م

ابن فارس, **مقاييس اللغة**، دار الفكر,بيروت, ١٩٧٩م.

ابن منظور, **لسان العرب**, دار صادر

ابن هشام, **أسئلة وأجوبة في إعراب القرآن**, عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية, ١٤٠٣هـ

الابياري, **الموسوعة القرآنية**, مؤسسة سجل العرب, ١٤٠٥هـ

الأزهري, **تهذيب اللغة**, دار إحياء التراث العربي - بيروت، ٢٠٠١م

إسماعيل حقي, **روح البيان**, دار الفكر, بيروت

الاصفهاني,**المفردات في غريب القرآن**, دار القلم, دمشق

اطفيش, **تفسير اطفيش**

اطفيش, **هميان الزاد**

الآلوسي، **روح المعاني**، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٥هـ

البخاري،**الجامع الصحيح**،دار طوق النجاة,بيروت ١٤٢٢هـ

بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز, الفيروزابادي

البقاعي, **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**,دار الكتاب الإسلامي، القاهرة

البيضاوي,**أنوار التنزيل وأسرار التأويل**,دار إحياء التراث, بيروت,١٤١٨هـ

الترمذي، **السنن**، دار إحياء التراث، بيروت، ١٩٧٥م

الثعالبي، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٤١٨هـ

الخطيب الشربيني, **السراج المنير**, مطبعة بولاق, القاهرة, ١٢٨٥هـ

الداوودي, **طبقات المفسرين**, دار الكتب العلمية، بيروت

الرازي، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي،بيروت,١٤٢٠هـ

الزبيدي, **تاج العروس من جواهر القاموس**, دار الهداية

الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت ٢٠٠٢م

السمرقندي, **بحر العلوم**

السمعاني, **التفسير**, دار الوطن، الرياض

سيبويه,**الكتاب**, مكتبة الخانجي، القاهرة - ١٩٨٨م

السيوطي في **الدر المنثور في التفسير بالمأثور** دار الفكر, بيروت

شهاب الدين الخفاجي,**عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى**, دار صادر – بيروت

الشوكاني, **فتح القدير**, دار ابن كثير، دمشق،١٤١٤هـ.

الطبري,**جامع البيان**, مؤسسة الرسالة,بيروت,٢٠٠٠م

الفراء, **معاني القرآن**, الدار المصرية

الفراهيدي,**العين**, دار هلال

الفيروزابادي, **القاموس المحيط**, مؤسسة الرسالة, بيروت,٢٠٠٥م

القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار الكتب المصرية,القاهرة, ١٩٦٤م

القطان ،**مباحث في علوم القرآن**، مكتبة المعارف، ٢٠٠٠م

الماتريدي, **تأويلات أهل السنة**, دار الكتب العلمية, بيروت

الماوردي, **النكت والعيون**, دار الكتب العلمية, بيروت

مجموعة من العلماء, **المعجم الوسيط**,دار الدعوة

محمد الغزالي, **تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع**, دار النهضة, مصر

محمد الغزالي, **نحو تفسير موضوعي**, دار النهضة, مصر

مساعد الطيار, **التفسير اللغوي للقرآن الكريم**, دار ابن الجوزي,١٤٣٢هـ

مسلم، **المسند الصحيح**، دار إحياء التراث، بيروت

مصطفى صادق الرافعي, **إعجاز القرآن والبلاغة النبوية**, دار الكتاب العربي - بيروت, ٢٠٠٥م

المظهري، **التفسير**، مكتبة الرشدية, الباكستان,١٤١٢هـ

مكي بن أبي طالب, **الهداية الى بلوغ النهاية**, جامعة الشارقة، ٢٠٠٨ م

الواحدي,**التفسير البسيط**, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ